

الاستبداد والديمقراطية

لابد أن يكون الاستبداد هو الذى سبق الديمقراطية ..
لأن القانون الطبيعى الذى خضع له الناس قديماً كان يضع القيادة فى يد الأقوى وعلى الضعيف أن يطيع أو يرحل ..
تماما كما هو قانون الغابة حتى اليوم !

ثم عندما بدأ يظهر فى القبيلة الواحدة أكثر من إنسان قوى ..
كان لابد من اقتسام السلطة بمعنى ... تكوين مجلس من الأقوياء ليتشاوروا فيما بينهم ،
راضين برئاسة أكبرهم سناً ..
وهذا هو الاستبداد الجماعى !

وسواء كان الاستبداد فردياً أو جماعياً فإنه يصدر عن المقتناع الكامل بامتلاك الحق فى بالنظر إلى الأمور والاندفاع بإصدار الأوامر والنواهي دون أخذ رأى المحكومين أو حتى .. اعتباره فى الحساب !

وقد مر زمان طويل وعصور متعاقبة تخللتها حروب خارجية ، وثورات داخلية دفعت الشعوب المستضعفة إلى أن تطالب بحقوقها فى اتخاذ القرارات والمشاركة فى توجيه دفة الأمور !

فى البداية ، لم يخضع الحكام المستبدون بالملين ، أو بالمخطاب الهادئ والمتعقل .. وإنما اضطرتهم المقاصل ، والسيوف ، وطلبات المرشادات .. إلى التخلي عن الاستبداد والرضوخ إلى منطق الديمقراطية ..

تقوم الديمقراطية على مشاركة الجميع فى انتخاب ذواب الشعب أو المترشح لذلك

وتعتمد على سيادة رأى الأغلبية ،
بعد أن يستمعوا لرأى الأقلية .
وتسمح بتداول السلطة
عند حصول حزب على أكثر الأصوات عددا .
وفى ظلها تتنفس الحريات الفردية ،
وتصان الملكية الشخصية ،
ويزدهر الاقتصاد .
ومع ذلك .. فإنها لا تخلو من بعض العيوب
مثل خداع بعض النواب للجماهير
حتى يصلوا بأصواتهم إلى البرلمان ؛
ومثل شراء بعض الأصوات بالمال ،
أو بالمجاه .. أو بالتهديد ؛
لكن الديمقراطية تظل مثل النهر الكبير
الذى يطهر نفسه بنفسه ؛
وما زالت حتى الآن ، ورغم كل شء ..
أفضل من كثير
من أنواع الحكم الأخرى .